

الانقلاب العثماني (٤)

﴿ وركيا الفتاة ﴾

٢

بروتوكل لندرہ ورفضه

سعي جمهور المبعوثين بعد ذلك (اوت افندم) لتصديقهم على كلام الرئيس بدون مناقشة ولا مباحثة ، ولكن كان فيهم - والحق يقال - فئة عارفين بمصالح الدولة وطرق الاصلاح ، جسورين على التكلم والدفاع عن حقوق الامة والمناضلة في سبيل منافعها ، غير ان الحال كانت ذات خطر شديد لأن العدو كان يتأهب للحرب على الحدود ، فأراد رئيس المجلس تحويل المذاكرات الى المسائل الخارجية لان مندوبي الدول الست الذين عقدوا مؤتمر الاستانة اجتمعوا في لوندرة وليس للدولة العلية مندوب مهم ، ووقعوا بتاريخ ٣١ مارث (مارس) سنة ١٨٧٧ على (بروتوكل) أي مضبطة طلبوا فيها من الباب العالي عقدا الصلح مع الجبل الاسود ، والتفرغ له عن نحو عشرين ناحية من املاك الدولة العلية لكون لسانهم سلافيًا ودينهم مسيحيًا !!! كما طلبوا اجراء الاصلاحات الموعد بها تحت مراقبة الدول وإشرافها وغير ذلك ، وأبلغوا هذه المضبطة الى الباب العالي في ٣ نيسان (ابريل)

سنة ١٨٧٧

جاء ناظر الخارجية الى مجلس المبعوثان وقرأ على أعضائه ترجمة البروتوكل وشرح لهم أحوال السياسة الخارجية وأفهمهم ان رد البروتوكل تكون تبيخته اعلان روسيا للحرب علينا ، وليس للدولة العلية عضد من بقية الدول كما كان لها في حرب القرم ، ولا تقود في خزينتها . وكرر عليهم ما قاله مدحت باشا في المجلس

(٥) تابع لما نشر في (ص ٦٤٦ ج ٩ م ١١) من رسالة محمد روجي افندي

انطالدي المصنوفي مجلس المبعوثان عن القدس الشريف

العالي لدى مذاكراته في لائحة مؤتمر الاستانة ، وكانت اكبر الصعوبات من
السيرة المالية ، وشدة الاحتياج الى التجهيزات العسكرية . فاعترض اكثر المبعوثين
على قبول البروتوكل ، وأظهروا من الحماسة والغيرة الوطنية ما لا مزيد عليه ،
وكان مبعوثو الارناؤط المجاورة بلادهم للجبل الاسود أشدهم اعتراضا ، وقام
مبعوث الاكراد فقال ما ملخصه : تزعمون أن المالية في ضيق شديد فكيف يمكننا
تصديق ذلك وأتم في هذه البهجة والالبسة الغالية والدور المفروشة بأحسن
الاثاث والرياش والعربات والتحليل المطهمة ؟ تعالوا الى عندنا في كردستان وانظروا
بؤس العيش ومرارة الحياة التي نحن فيها !! المساكن في بلادي لم يكن علي إلا
ألبنسة مرقعة بالية كقيمة اخواني من أهالي كردستان ، ولما رأيتم تردون أحسن
الالبسة وتتألق على صدوركم النياشين الجوهرة خجلت من نفسي فاشترت الثوب
الذي ترونه علي من سوق الدالين !! وأنا مرهق ، لا من المخازن الكبيرة وأنا
موسر ، واذا كانت سلامة الوطن والمحافظة عليه تقضي علي ببيعه فأنا أبيعهُ وأنا
مغبوط وأعود الى ثوبي المرقع .

ثم قال الرئيس في ختام المذاكرة : هل يقبل المجلس ما جاء في البروتوكل
لملاحظات ناظر الخارجية ؟ فرفض المجلس قبوله بالاكثرية ، وكانت الاقلية ثمانية
عشر صوتا من الروم المبعوثين عن الروم ايبي ومن الارمن . فنظم الباب العالي نشرة
موثقة في ٩ نيسان (ابريل) سنة ١٨٦٧ احتج فيها على بروتوكل لوندرة المنظم
بدون اطلاقه وانضمام رأيه ، وقال : ان تكليف الباب العالي اجراء الاحكام على
ما يقضي به هذا البروتوكل مخالف لاستقلال المملكة العثمانية الذي اقرته الدول في معاهدة
باريس ، فقرئت هذه النشرة على مجلس المبعوثان فاستحسنها وأقرها وشكر الباب
العالي على تنظيمها فأجاب عنها البرنس جورجاقوف في بطرسبرج بنشرة رفعها الى
الدول في ١٩ نيسان (ابريل) مضمونها : ان الباب العالي وفض اجراء الاصلاح
الموعود به فصارت الحرب ضرورية لان روسيا مضطرة الى إيفاء واجباتها نحو
الاهالي المسيحيين !!

فأجاب الباب العالي بنشرة أخرى للدولة قال فيها : ان تركيا لا ترفض اجراء

الاصلاآات وانما ترفض الاشراف والمراقبة على اعمالها ، لان في ذلك غمطا لآقها وازراء بشرفها وعمتا باستقلالها الذي اقرت عليه الدول الموقعة على معاهدة باريس . وصارت النشرات (سيركولير) والمحررات السياسية تطاير من عواصم اور باوالانذارات (ميموراندم) والمذاكرات تتساقط على السفراء ونظار الخارجية فلم يجد ذلك نفعا بل اعلنت الحرب في ٢٤ نيسان (ابريل) سنة ١٨٧٧

مئاقتات مآلس المآوثان وانقضاؤه

مآل مآلس بعد ذلك في لائآة نظام الولايات وتشكيل مآلس الادارة وذكرو في اللائآة ان مآلس ادارة الولاية يتألف من ستة اعضاء يتآب نصفهم من المسلمين والنصف الاآر من المسيآيين ، فاعترض بعض المآوثين على هذا التآصيص الذي هو داعية للتفريق ، وقالوا : ان القانون الاساسي اطلق على جميع الرعية اسم (عمانيين) بدون تفريق بينهم في الدين والمذاهب ، وان الاآثرية في مآلس الادارة تكون من آق المسلمين ، لان الموظفين كالوالي والدقردار (رئيس الحاسبة) والمكتوب مآبي ونآوم اعضاء دائآون في مآلس ادارة الولاية ، وطلبوا اآراج المآبين من بين الاعضاء الدائآين لآونهم بمآابة الرؤساء الروحآيين .

آقال الرئيس : ليس للمآبين صفة دينية كصفة الرؤساء الروحآيين ، ورغم انتشار هذا الزعم الفاسد فالآقي ما هو الا مآور القانون اآي المآمي عن القانون والشريعة ، وليس له سيطرة على المسلمين كسيطرة الرئيس الروحآي على ابناء ملته ، وانما هو من علماء الآقوق المعروفين عند الافرنآ باسم (Jurisconsulte) واعترضوا اآضا على تسمية (متصرف) فقالوا ان هذا الاسم مشتق من التصرف الدال على الاستبداد والاذلال والاستعباد ، فآو لا يوافق روح الحرية والمساواة . واستعلم بعض المآوثين عن اآوال معسكر الاناضول ونقصان التآهيزات العسكرية ، وعلى تآمين اآداد الخدمة قائمآام وقد كان (شوبآي) اآي آامل قصابة التدآين عند بعض الكبراء ، الى آير ذلك .

ثم اشتغل مجلس المبعوثان بتدقيق ميزانية المالية ، وطلبت الحكومة خمسة ملايين ليرة عثمانية للدخول في الحرب فتألف قوميسيون من احد عشر مبعوثا للتدريج بالوسائل المؤدية الى الحصول على المبلغ المطلوب . فتحاولوا اقراضه من إنكلترا على ان يكون لها في مقابل ذلك واردات مصر كما فعلوا قبلا فرفضت إقراضهم لان التأمينات غير كافية ، فقرروا عقد قرض داخلي بفائدة عشرة في المئة من واردات اصحاب الاملاك والتجار ، واخذ راتب شهرين من اصحاب الرواتب ، فصدق مجلس المبعوثان على هذا القرض وعلى كل ماطلبت الحكومة منه وختم جلساته في تموز (يوليو) سنة ١٨٧٧ فقال الرئيس : ارجعوا الى ولاياتكم وأعيدوا الانتخابات واجتهدوا بأن ترسلوا لنا مبعوثين او فر عقلا و أكثر وقوفا على ما تحتاج اليه البلاد !!!

فيرى من ذلك ان مجلس المبعوثان — على ضعفه وعجزه وجهل اعضائه في السياسة والادارة — لم يكن منه قصور أو تقصير في وظائفه ، ولم يحصل فيه اختلاف شديد بين المسلمين والمسيحيين ، وانما كانوا جميعا متفقين على مقاومة الاستبداد ومنع التعدي وتبذير الاموال ، وكل منهم عارف بمصالح بلاده الخاصة ، لأن معرفة ذلك لا تحتاج الى علم كبير أو رأي ثاقب لبدهتها ووضوحها كالشمس في رابعة النهار ، غير أن الواقفين منهم على مصالح الدولة العامة وسياستها الخارجية كانوا أقل من القليل ، والحكومة ابت ان تعترف لهم بحق ، بل نظرت اليهم بنظر الوصي إلى الصبي !!!

الحرب الروسية العثمانية

استمرت الحرب الروسية العثمانية ثمانية أشهر (نيسان — كانون الاول سنة ١٨٧٧) وابرزت الجنود العثمانية فيها من الشجاعة والصبر والثبات والقوة ما دل على حياة الأمة وقوتها وسلامة جسمها من اعراض الهرم أو المرض الذي يصفها به العدو ، ولكن نقصان التجهيزات العسكرية وسوء الإدارة كانا سببا في التصار الروس في أوروبا وآسيا ، وتجاوزهم نهر الطونة (الدانوب) وجبال البلقان ، وأخذ القرص ومحاصرة اوضروم من جهة الاناضول ، وفتح بلننا في الروم ايلي . وقد أظهر عثمان

باشا وعسكره من الشجاعة والمقاومة ما حير الروس وأوربا كلها فاعترفوا بفضلهم
وقدروهم قدرهم « والفضل ما شهدت به الاعداء » ۱۰ كانون الاول (ديسمبر)
سنة ۱۸۷۷

طلب مدحت باشا وانتخاب المبعوثان ثانية

استنزفت هذه الحرب ثروة البلاد واضعفت قوتها وافرغت صناديق الحكومة
من الاموال ، لكثرة الإنفاق واتقطاع الوارد اليها من التكاليف والرسوم ،
فقرر إعادة التأم مجلس المبعوثان وطلب مدحت باشا من أوربا ، وعقد قرض
لوندرة ، وعقد الصلح مع روسيا ، فجرى انتخاب ثان بأمور (أوامر) مؤقتة لاكمال
يقضي نظام انتخاب مجلس المبعوثان

افتتاح مجلس المبعوثان مرة ثانية وخطاب السلطان فيه

افتتح مجلس المبعوثان مرة ثانية في يوم الخميس الواقع في ۷ ذي الحجة سنة
۱۳۹۴ و ۱۳ كانون الاول (ديسمبر) سنة ۱۸۷۷ فذهب الوكلاء الفخام والوزراء
الكرام والعلماء الاعلام واعضاء مجلس الاعيان والمبعوثان وسفراء الدول الاجنبية
الى سراي بشكطاش واصطفوا على الصورة الآتية : فكان عن يمين الحضرة
العلية السلطانية أدهم باشا المصدر الاعظم ووكلاء الباب العالي ثم موظفو المجلس
العالية ثم رؤساء المذاهب المختلفة ثم اعضاء شورى الدولة ومستشارو النظارات المختلفة
وكثيرون من اعيان رجال العسكرية والملكية بحسب رتبهم ومقاماتهم ، وكان
عن شمالها حضرات شيخ الاسلام والشريف عبد المطلب أمير مكة المكرمة قبلا
ثم العلماء من رتبة قاضي عسكر الروم ايلي والاناضولي ثم (الفریقان) الكرام وفريق
من العلماء الاعيان . وكان اعضاء مجلس الاعيان أمام الحضرة العلية السلطانية من
ناحية اليمين على صفيين ، واطراف مجلس المبعوثان امامها من ناحية الشمال على تسعة
صفوف ، وفي الساعة السادسة على الحساب العربي دخل السلطان الاعظم وسلم
الرقم المشتمل على نصيحه لعميد باشا باشكاتب المابين فتلاه على الحاضرين وهو :

« يا أيها الاعيان والمبعوثان

« اني اكتبت الممنونية بفتح المجلس العمومي وبشاهدة مبعوثي الملة (الامة) - ثم ذكر الحرب مع روسيا والمحافظة على الملية أي القومية واللغات وحتى المساواة وادخال غير المسلمين من الرعية في الجندية والمحافظة على القانون الاساسي واصلاح المالية والمدل في جباية الاموال الاميرية وتنظيم القوانين - وختمه بقوله:

« يا أيها المبعوثان

« ان ابراز الحقائق في المسائل القانونية والسياسية وضمن منافع البلاد يتوقفان على مجاهرة ارباب الشورى بأفكارهم بالحرية التامة ، وبما ان القانون الاساسي يقضي بذلك فاني لا أرى احتياجا إلى أمر أو ترغيب آخر »

مذاكرات مجلس المبعوثان

ثم انعقد مجلس المبعوثان في الدائرة الخاصة به تحت رئاسة حسن فهمي افندي (وهو اليوم باشا من النظار) وشرع المبعوثون في المذاكرات والمباحثات بقية شهر كانون الاول (ديسمبر) وكانون الثاني (يناير) وأوائل شباط (فبراير) سنة ١٨٧٨ وكثر الجدل بين المبعوثين وبين الحكومة - لابين الاعضاء المختلفين بالدين واللسان - وطلب بعضهم التدقيق في حسابات المالية ، وحضور ناظرها لمناقشته الحساب ، ومحاكمة المرتكبين ، وسؤال المتهمين باختلاس الاموال الاميرية ، وسوء الاعمال المختلفة المتعددة ، وقام أحد المبعوثين وقال : إن الجاندرمة (فرسان الشرطة) في الولاية التي بعثت منها تهب الاهالي ، والمحاكم ترتشي على ابطال الحق وإحقاق الباطل ، والضابطة تمذب المحبوسين بالضرب وأنواع العذاب . واعترض مبعوث آخر على المذابح التي جرت في بلغارستان وطلب التحقيق والبحث عنها . وطلب جماعة من المبعوثين عزل خمسة من الوكلاء : منهم محمود جلال الدين باشا وسعيد باشا وكجوك سعيد باشا ، والتحقيق عن كثيرين من رجال الدولة وقواد المراكز ، ولا سيما عن الاختلاس والاسراف في نظارة البحرية وغير ذلك .

إلغاء الصدارة واستبدال مجلس الوكلاء بها

بعد ذلك تولى الصدارة أحمد حمدي باشا المعروف في ولاية سوريا ، وذكر في فرمان التولية « إن اعتزال أدهم باشا مدة للأعمال كان مراعاة لصحته هذا مع التسليم بنزاهته ودرأته ، ونحن راضون عنه من كل الوجوه أتم الرضى ٠٠ » الخ . وبقي حمدي في الصدارة بضعة وعشرين يوما ، وفي غرة صفر سنة ١٢٩٥ و ٤ شباط (فبراير) سنة ١٨٧٨ صدر فرمان القاضي بإلغاء لقب (صدر أعظم) واستبدال رئيس الوكلاء به ، وتوجيه هذه الرياسة إلى أحمد وفيق باشا رئيس مجلس المبعوثان مع رتبة الوزارة ، وتعيين مسئولية (تبعة) الوكلاء أي النظاركما هي الحال في وزارات أوروبا ، فحضر (الباش وكيل) الأقدم إلى مجلس المبعوثان وقال لهم ما ملخصه :

« إن جلالة السلطان الأعظم تريد في الحقيقة باطنا وظاهرا إدارة الملك كما تقضي أحكام القانون الأساسي ، ولذا استبدلت رئاسة الوكلاء بمسند الصدارة . فالوزارة الجديدة المؤسسة على قاعدة المسئولية لا ترغب إلا في سلامة الدولة وترقيتها ، والوكلاء مستعدون للحضور دائما إلى المجلس عند الطلب ، ولكنهم يرجونه أن يقبل في بعض الأحيان وكلاء عن أعضائه لكثرة شواغلهم وحرصا على أوقاتهم !!! »
فقام أحد المبعوثين وقال ما خلاصته :

« إن مجلس المبعوثان له الحق وحده ومن شأنه خاصة إحداث تغيير عظيم مثل هذا التغيير ، تقولون دائما انكم تريدون المحافظة على القانون الأساسي ، إذا فاحترموا حريتنا لا أننا نحن الذين نمثل القانون الأساسي ونحافظ على أحكامه ، وأنتم الذين تحاولون نقضه وإبطاله ... » فأحيات المسألة على قوميسيون مخصوص ليدقق فيها في ٥ شباط (فبراير) وكانت الحرب أوشكت أن تضيع أوزارها ، وعسا كر روسيا استولت على أدرنه وتجاوزتها ، وطلبت أوستريا (النمسا) أن تجتمع في فينا مؤتمرا من مندوبي الدول الموقعة على معاهدة باريس لتتفح المعاهدة الجديدة بين تركيا وروسيا ، واتموفيق بين أحكامها وأحكام المعاهدات القديمة ، وبشت

انكثرا بأسطولها الى بحر مرمرة في ١٤ شباط (فبراير) سنة ١٨٧٨

المجلس العالي

تداخلت دول اوربا في المسألة الشرقية بعد ان تركن روسيا تفعل ما تريد في الحرب ، وعدن الى المناقشات والمفاوضات — على عاداتهن — في هذه المسألة واعتمد المايين على ما يبينهن من الاختلاف واستغنى عن مجلس المبعوثان فألف في ١١ شباط (فبراير) سنة ١٨٧٨ مجلسا عاليا من وكلاء الدولة ورجالها وأعيانها والرؤساء الروحيين ، وطلب من مجلس المبعوثان خمسة أشخاص : الرئيس ووكيله وأحد مبعوثي الأستانة وهو الحاج احمد افندي كتبخدا الاستراتيجية (الككش) ومبعوث آخر يهودي ، فقال لهم الحاج احمد افندي ان طلبكم الآن رأينا في غير محله ، فقد كان يجب عليكم أن تسألونا قبل الخراب ، فمجلس المبعوثان يتصل من كل تبعه تنقبي عليه لامر وقع بغير علمه ، ولم يكن برأي من آرائه ، وكرر القول بأن المجلس يرفض كل تبعه في الحال الحاضرة .

تعطيل مجلس المبعوثان الى اجل غير مسمى

صمم السلطان الاعظم حينئذ على العدول عن سياسة والده الماجد السلطان عبد المجيد خان في عمل الاصلاح باطلاق الحرية والعمل بمقتضى أحكام القانون الاساسي ، وجنح لسياسة جده السلطان محمود خان في اعمال القهر والاستبداد ، منفذاً هذه السياسة اعتقاداً منه أن الشعوب التي وضعها الله تحت يده لا يمكن تسييرها الا بالقوة !! . وكان حضر المندوب الروسي الى الأستانة فلم يسر بوجود مجلس المبعوثان ظلوا بطرسبرج من مثله ، واستبداد القيصر برعيته ، ففي ١٤ شباط (فبراير) سنة ١٨٧٨ قرأ الرئيس حسن فهمي افندي على المبعوثين منطوق الارادة السنية القاضية بتعطيل مجلسهم الى اجل غير مسمى !!

استخدام المبعوثين والالاء لتعطيل مجلس المبعوثان واسبابه

خرج المبعوثون يتعزرون بأذيالهم ، وأنذرت الضابطة المتطرفين منهم بالجسورين على النكلم وإيقاظ افكار الالاء . وجوب المهاجرة من الأستانة !

فذهب بعضهم الى الولايات العثمانية وبعضهم الى مصر والبلاد الاجنبية - ولم تعلق الامة أو تتأثر من هذا الاحتقار والامتهان، ولا حصل منها هيجان أو اعتراضات! كأنها جل المحامل

يصرفه الصبي بكل وجه ويخبسه على الخسف الجري
وتضربه الوليدة بالهراوى فلا يخبر لديه ولا تكبر

ولم يبق من المبعوثين من أصر على مبعوثيته الى آخر نفس من حياته الا أفراداً قلائل كمبعوث القدس الذي كان - بجرأته - يثبت على بطاقة الزيارة (كارت فيزيت) انه مبعوث القدس ، ويقدمها الى وزراء الدولة ورجالها لدى زيارته لهم في الأستانة ، والى سفراء الدول الأجنبية وموظفي نظارات الخارجية في أوربا - ولما اجتمع بصديقه خليل غانم مبعوث بيروت في الاجتماع الثاني للمجلس ومنتشي المقالات الرئائفة في جريدة الدنيا وغيرها من جرائد باريس وذلك قبيل وفاتها - أخذها لكتابته في بطاقة الزيارة كلمة المبعوث السابق (Ex - Député) فحط كلمة « سابق » لان صفة المبعوثية انما هي بإرادة الامة وانتخابها ، فهي لا تنزل عن صاحبها إلا بانتخاب آخر ، ومجلس المبعوثان لم يبلغ إلغاء وانما عطل الى اجل غير محدود ، فكان اجتماعه في كل سنة من قبيل الممكنات الجائزة عقلا ونظاما . ولكن أكثر المبعوثين تناسوا وظيفتهم كأنها وظيفة حقيرة لا يؤبه لها وقد عزلوا منها ، ولم يجسر احد على ذكرها في ترجمة حاله الرسمية ، ولم يذكرهم بها مذكروا وعظيهم واعظوا ولا حوت في هذا الموضوع جريدة من جرائد المملكة العثمانية

ان لهذا السكوت والاستخذاء اسبابا كثيرة . منها ان الحرية امر تستحوذ عليه الامة بالقلبة والاستيلاء ، وليست مما ينعم به انعاما أو تعطى جزافا ، ولقد كانت الامة حينئذ منهوكة القوى مكسورة الجناح بسبب الحرب ، لا دار الا وفيها أتم ، ولا اسرة الاوقدا صابتها مصيبة . وزاد البلاء بسبب البحران المالي ، ونزول قيمة المسكوكات (النقود) فكانت الاسرة تبعث خادمها الى السوق ليشتري القوت الضروري فيعود اليها خاوي الوفاض لعدم رواج النقود ، فتطوي على الجوع وتفتت اكباده والدين

لبكاء أطفالهم . ثم ان الامة هي عبارة عن أهل العاصمة منبع الاستبداد وأهالي الولايات والقرى ، والمساكر المنظمة ، المدرجة على الحرب ، المسلحة بالأسلحة الجديدة والمدافع ، فأما أهل الأستانة ولا سيما المسلمون فإنه لا يتصور قيامهم لطلب الحرية لأن جلهم — ان لم نقل كلهم — موظفون أو عاشقون في ظل الموظفين ، والمساكر المسلحون واقفون لهم ولأهل الولايات بالمرصاد وقادرون على إخماد نار اية ثورة أو مظاهرة ، وان قيام طائفة مسيحية وحدها لطلب الحرية عما لا يرضى به المسلمون ولا بقية الطوائف المسيحية واليهودية ، كما شاهدنا ذلك في أرمينيا ومقدونيا التي اشتدت فيها المناقشة بين الروم والبلغار والصرب والرومان ، كما أن الصاكر وحزب الاحرار العقلاء لا يرضون به ، لأن قيام كل ملة على انفراد يقضي بتقسيم الممالك وتفريقها وضعفها وإثارة اضعاف العداوة الموروثة من الحروب الصليبية والقرون المتوسطة المظلمة ، على ان هذا القيام كان مصدره الكنائس والأديار بإيعاز الرهبان والقسيسين والمبشرين والمرسلين ، فكان سببا لايجاد المذابح والفضائح ومداخله الأجانب

أما حرب تركيا الفتاة الذي أسسه مصطفى فاضل باشا وخليل شريف باشا فإنه لم يكن في عهد مدحت باشا إلا فئة قليلة من صفار الموظفين وضباط الصاكر والمتعلمين في المدارس الجديدة ، والذين درسوا شيئا من اللسان الفرنسي أو الانكليزي ، واشتهروا باسم « انكلز » لتعلمهم الانكليزية فقط ، مثل : انكلز سعيد باشا ، انكلز كريم افندي ، انكلز علي بك والد أحمد رضا بك روح هذا الانقلاب ، أو الذين أصلهم من الأوربيين فأسلموا ودخلوا في الوظائف ، مثل عمر باشا المجري ، ونوري بك ابن المرعي دوشاتونيف الفرنسي ، وكثير غيرها ، أو الذين تزوجوا بنسوة أوريات وربوا أولادهم تربية أجنبية أو غير ذلك ، فكانت هذه الفئة متحدة بالفكر في إعجابها بالمدينة الأوربية وميلها اليها ، ولم تكن لهم جمعية ولا رابطة غير الرابطة المنوية الفكرية ، لأنهم من موظفي الحكومة والوظائف تضطروهم إلى إخفاء الرأي ، وإطاعتهم لا مريهم إطاعة يفرضها العقل والسياسة ، والا كانت الامور فوضى ، ولكن الجامدين من المسلمين لم

(التاريخ ١٠١٠م) حادثة جراجان . استبدال الصدارة بمجلس الوكلاء ٧٥٣

يفرقوا بين الدين المسيحي والمدنية الأوروبية ، واعتبروا كل إصلاح صدر من أوروبا المسيحية مخالفا للدين والآداب الإسلامية ، وشتان ما بين المدنية الأوروبية والدين المسيحي ،

سماوي أفندي وحادثة جراجان

على ان بعض المتطرفين من حزب تركيا الفتاة ثاروا بزعامة علي سماوي أفندي ، وكان من طلاب العلم المعروفين بالصوفيات ، مطلقا على العلوم العربية والفنون الرياضية ، وواقفا على الأفكار الجديدة . نفي في أيام السلطان عبد العزيز وصدارة عالي باشا ، وفرالى باريس ولوندره ونشره الرسائل والمقالات ، وكان ينفق على نفسه فيهما مما ينفقه به بعض رجال الاستانة ، ثم عاد إليها وصار من حزب مدحت باشا انصار القانون الاساسي ، وعين مديرا للمكتب السلطاني ثم عزل ، فاتفق مع صالح بك الارناؤوط احد الضباط وجماعة من المهاجرين فكانوا زهاء مئة رجل ، وهاجموا على سراي جراجان لانخراج السلطان مرادتها ومبايعته ، واسترداد الحرية والقانون الاساسي ، فاجابهم الصاكر بالسلاح فشنت عليهم . وكانت هذه الحادثة في ١٣ مايس (مايو) سنة ١٨٨٧ زمن رياسة صادق باشا لمجلس الوكلاء .

صدارة رشدي وصفوت وخير الدين التونسي

لبث احمد وفيق باشا (باش وكيل) لمجلس الوكلاء مدة قليلة ، ثم وجهت الى صادق باشا فبقي فيها تسعين يوما ، ثم استبدلت الصدارة (بالباش وكالة) وعين فيها رشدي باشا ودام فيها ثمانية أيام ، ثم عين لها صفوت باشا ناظر الخارجية فاكسب فيها ثقة الخضره السلطانية ولم تطل فيها مدته ، وعين لهاخير الدين باشا الجركسي الاصل والتونسي النشأة ، وهو مؤلف التاريخ العربي «أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك» وله وقوف على العلوم العربية وعلى الفرنسية ، ويجول في ممالك أوروبا ، وقد طلب منها في سنة ١٢٩٤ هـ كما طلب السيد جمال الدين الأفغاني وغيره ، وعين رئيسا لشورى الدولة ثم (صدر اعظم) سنة ١٢٩٥ وبقي في الصدارة ثمانية أشهر ، ثم استقال وبقي

(المجلد الحادي عشر)

(٩٥)

(التاريخ ١٠)

جلس بته الى أن توفي سنة ١٣٠٧ في الأستانة . فكان في طلبه وتوظيفه شبه ميل الى سياسة (بانسلاميزم) ولكن هذه السياسة لها معنيان : المعنى القديم الاستبدادي الذي مشى عليه خلفاء بني أمية والعباسيين ، وهو مخالف لحقيقة الاسلام ، ومناف لروح العصر الجديد والمدنية الحاضرة — والمعنى الحديث وهو يوافق أصل الاسلام والمدنية ، ولكنه يخالف مسلك المستبدين بالأمر ، ويحول بينهم وبين مآربهم ، وهو أشد وطأة عليهم من القانون الأساسي وحزب تركيا الفتاة .

صدارة كجوك سعيد باشا واعماله

ثم عين لمستد الصدارة سعيد باشا المشهور بسعيد باشا الصغير (كجوك سعيد) تمييزا له عن سبيه ناظر الداخلية الكردي الأصل والمتوفى قبل بضع سنين . وكان سعيد باشا الصغير محررا في جريدة « حوادث » فأتصل بالداماد محمود جلال الدين باشا ودخل بوساطته المايين وصار باشكاتب له ، وهو المنسبب في إبعاد مدحت باشا وتعطيل احكام القانون الاساسي ، وإعلان الحرب ، وعزل القائد (السردار) عبد الكريم باشا وإخلائه موقم (بيلاه) امام بلغنا ، ومداخلة المايين في إدارة جميع الشؤون العسكرية ، واصدار الامور من السراي السلطانية اثناء الحرب ، وتقسيم المملكة العثمانية في معاهدة سان ستافانو التي تقعتها معاهدة برلين . . . الخ فان الارادات السنية في جميع ذلك كانت تصدر برأي سعيد بك باشكاتب المايين وتوقيعه ، ولهذا كان مفوضا من حزب تركيا الفتاة لانه كان آتة وعونا على الاستبداد ، وعلى ادارة المصالح بدون رأي الباب العالي . مع أن باشكاتب المايين كان لذلك العهد ينتخب من قبل الصدارة المنطعي ، وكان الصدور لا ينتخبون لهذه الوظيفة الا الذي يعتمدون عليه لعرض المضابط والمقررات والانهات واستصدار الارادات السنية بها ، ولم يكن إلباشكاتب نفوذ معارض لنفوذ الباب العالي صاحب التقاليد والاصول المرعية في ادارة المملكة ، ولا سيما في أيام رشيد باشا وقزاد باشا وعالي باشا ، فلما توفي عالي باشا وتولاها محمود نديم تدنت اهميتها بسبب ثقافته وعلمه للمايين وتهدية اموال الخزينة اليه بغير عد ولا حساب . ولما ولي سعيد باشا الباشكاتبه زالت اهمية الصدارة بته ، وانحصرت

الاعمال والادارة في الماين ، وصار للباشكاتب نفوذ يمكنه ان يطلب مدحت باشا الصدر الاعظم الى الماين ويبلغه الارادة القاضية بنفيه على الباخرة عز الدين !!
تولى سعيد باشا الصدارة بعد مدحت واشتهر بالنزاهة والاستقامة ، فلم يسمع عنه ارتكاب ولا انهماك في جمع الاموال وادخارها ، ولهذا كان أقل الصدور ثروة ، وكان شديد السطوة على المرتكبين ، كثير البطش بهم والامتداد فيهم ، ولكنه عادل في احكامه وعقابه . وفي زمن صدارته وضع نظام المعارف ، وأسست المدارس على النسق الجديد ، وصار للمعارف ايراد وافي من واردات الحصة التي أضيفت الى الاعشار ، ونظمت نظارة العدلية وأصول المالية وأسست إدارة الديون العمومية ، وبوشر في مد بعض الخطوط الحديدية واصلاح الطرق والمعارف من دون ان يؤدي اعطاء امتيازاتها الى ارتكاب فاحش . فكان أصلح الصدور في الدور الاخيرة ، ولم ينتقد عليه حزب تركيا الفتاة الا استبداده ومقاومته مشروع مدحت باشا وتوقيف أحكام القانون الاساسي وجميع ما صنعه وهو رئيس كتاب الماين ، لم يصد سعيد باشا كونه من رجال الكامريلا . لانه نشأ وترى في الماين . ان يحاول الاستقلال في وظيفته واعلاء شأنها ورفع مكانتها ، وتمشية المصالح بالعدل على قاعدة مطردة وأصول منظمة ، كما كانت عليه في زمن عالي باشا . فأصبحت بذلك أعمال سعيد باشا موزعا للرية ، وكثرت الوشايات به فصار مبعوضا منقورا منه ، ووضعت عليه الميون والجواسيس ، وصارت أعماله تراقب حراسة دقيقة فأحدث قلم للترجمة في الماين وانجمن التفتيش (مجلس التفتيش) والمعاينة في نظارة المعارف لمراقبة الكتب المطبوعة والتدريس ومصادرة المضر منها (١) على زعمهم وبحسب اصطلاحهم ، وقلم مراقبة المطبوعات الداخلية والاجبية في الباب العالي . هذا ما عدا دوائر وشعب الخفية (الجواسيس) المتعددة المحدثه التي مركزها في الماين تحت نظارة السرخفية (رئيس الجواسيس) فهذا الذي قضى بسقوط سعيد باشا في الحقيقة والواقع فذهب باصلاحاته ادراج الرياح ، وان كان عزله في الظاهر بسبب احتلال البنغار للروم ايلي الشرقية ، واصمراره على ارسال العساكر كما تصرح بذلك معاهدة برلين .

صدارة كامل باشا الصدر الخالي

تولى الصدارة كامل باشا الصدر الخالي بعد سعيد باشا ، ومولده في جزيرة قبرص ومر به في مصر ولهذا نسب اليها ، وله معرفة باللغات الاجنبية وبإدارة الدولة ، لانه تقلب في جميع وظائفها ، فن قانتم الى متصرف الى وال الى ناظر ، ولكنه في نظر تركيا الفتاة كان أقل شهرة من كثيرين من الوزراء والرجال الموجودين إذ ذاك . واستمرت صدارته ست سنوات وهو آله في يد المايين ، مطيح لما يلقي عليه من الامور ، ثم ظهرت شجاعته فعارض وعاند ، فأصابه ما أصاب سلفه سعيد باشا من سوء الظن به ، والريبة في أعماله وشؤونه مما قضى بفصله

صدارة جواد باشا و ضعف الدولة

للولي الصدارة جواد باشا قوبل ذلك بالاستغراب العام ، ولم يكن يحظر تعيينه ببال ، لانه من أمراء العسكرية وهو صغير السن غير متمكن من اختبار الادارة الملكية ، على انه كان من النابذة الجديدة ، وتخرج في المدارس العسكرية ، وربما كانت الغرض من تعيينه هو الأيهام بالعود الى الإصلاح واطلاق الحرية ، ولكنه في الحقيقة لم يكن قائما بوظيفة الصدارة بل كان ياورا للحضرة السلطانية مكلفا بتنفيذ الامور التي تلقي اليه !! ، كما كان رئيس الوزارة الألمانية ياورا للحضرة الامبراطورية ولكنه غير مسؤول امام الريشستاغ ، فلم يبق بعد ذلك شأن للصدارة ، واستولى رجال المايين على الشؤون كافة ، وصار في يدهم العزل والتوظيف والحل والربط وإعطاء الامتيازات بمد الخطوط الحديدية واستخراج المعادن وسائر الامور النافمة ، وكانوا يتناولون الرشي من وراء ذلك بصورة فاحشة . واستولوا على الأوقاف ، ووسعوا نطاق الخزينة الخاصة بائتراع المستلكات من أيدي أصحابها بالثمن البخرس ، وإقامة الموظفين فيها يعارضون بنفوذهم موظفي الحكومة ونفوذها ، حتى أصبح المايين حكومه صغيرة قويه !! داخل حكومه كبيرة ضعيفة ! لان مركز الحكومة نقل من الباب العالي الى سراي يلديز السلطانية !!

الجاهلية في الدولة العثمانية

ضعفت إدارة الدولة وجعلت تدهور بسرعة إلى دركات التأخر والأخطار، بعد أن خطت خطوات محدودة في سبيل التقدم أيام صدارة سعيد باشا، واقطع أمل الأحرار العثمانيين وخاب رجاءهم بعد أن كانوا يؤملون تفويض الدولة والمملكة من المرض الذي مني به قديما . فاضطهد هؤلاء الأحرار واهينوا وعوملوا أسوأ معاملة ، حتى ذاقوا أشد العذاب الوجداني والأدبي، وصار أرباب الدناءة والفساد يتقربون إلى المايين بالتملق والوشاية والتجسس على إخوانهم وأعمامهم وآبائهم ! ومنهم من تجسس على أمه وأخيه فنيا من الاستانة ، فكانوا — بمخبريتهم — يصورون الرعية الصادقة للسلطان الأعظم كالوحوش الضارية تريد اقتراسه ونزع تاجه ، ويزينون في عينه الاستبداد ، ويغدون عنه الخبيرين بأمور الدولة العارفين بطرق الإصلاح ، زاعمين انهم من ذوي الأفكار المتطرفة وحزب تركيا الفتاة ، حتى اختل نظام المملكة ، وبطلت مراعاة الأحكام القانونية ، والسير في إدارة الدولة على الأصول والتقاليد المعروفة من القديم ، وفسد التعليم في المدارس ، وانحرفت إدارة الأمور الداخلية والخارجية عن محورها ، ومالت إلى التسلبي والأخطار ، رغم الأبهة الظاهرة ، والنعمة الكاذبة ، ولا سيما في موكب صلاة الجمعة إذ تصطف المساكر في ساحة المسجد الحليدي امام باب السراي صفوفا مضاعفة بعضها وراء بعض رجالا وفرسانا ، وتتسابق مركبات الكبراء والسفراء الاجانب ، ثم تشرق المركبة السلطانية من مطلع السراي وده المشيرون وكبار رجال المايين حاقون من حول المركبة مشاة خشع الابصار ، ترهقهم ذلة من جلال تلك العظمة الإيمانية ، وهم في غير هذه الساعة أكاسرة الفرس وقياصرة الرومان كبرا وجبروتا ، وكاهم في أمواج الملابس الذهبية يسبحون وعلى صدورهم نياشين الجواهر تحطف الابصار . وكان في كل نظارة من نظارات الداخلية والصدلية (الحفانية) واليالية والشيخية الاسلامية وغيرها رجال معروفون يبعون الوظائف والرتب بأسعار معلومة ، ويتقسمونها هم وكبار الموظفين ، فمن اشترى وظيفة بمئة

أيرة فأكثر فانه يجتهد في استغلاله منها اضعاف ما بذله بإرهاق الاهالي وظلمهم
أو اختلاس الاموال الاميرية أو بكليهما !!

الميل عن انكفرا الى ألمانيا والحوادث الارمنية

انحرفت سياسة الماين عن انكفرا الملحة في طلب القيام بالاصلاحات وتغيير
الادارة المستبدة الظالمة ، واتجهت نحو ألمانيا التي لا ترى بأسا في ادارة الدولة بالقسر
الاستبدادي ، فجنح بعض ساسة الانكليز للارمن ومالوا اليهم ، وساعدوا جميعتهم
السرية التي في لوندرة ، وأشار عليهم بعض رجال السياسة كفلادستون بالقيام والهيجان
حتى اذا حدثت في البلاد مذابح كذابج البغار هاجت الافكار العمومية في أوروبا ،
وتسنى لحكوماتها المداخلة في طلب الامتيازات لارمنيا ، كما حدث في البلغار والجل
الاسود والصرب ، ويساعد على ذلك نص المادة الحادية والستين من معاهدة برلين
فقد جاء فيها ما معناه «تعهد الباب العالي بأنه يسرع في القيام بالاصلاحات والتحسينات
التي تقتضيها حال البلاد الداخلية في الولايات الآهلة بالارمن ، وبمحمايتهم من الجراكسة
والاكراة ، ويعطي الباب العالي في معظم الاوقات معلومات عن التدابير المتخذة في
هذا السبيل للدول المشرقة على القيام بالاصلاحات »

وفي سنة ١٨٩٠ تشكلت جمعية انقلابية ارمنية (١) لتحرير الارمن التابعين
لادولة العلية وروسيا والعجم ، وكان رأس مالها مئة وثلاثين الف فرنك ، وميزانيتها
اليوم مليون فرنك ، منها ثلاثون في المئة للقيام بالحركات الانقلابية والسياسية ،
وخمسة وعشرون في المئة لتسليح الامة ، وعشرون في المئة للنشرات والتبشير .
فأحس احرار العثمانيين بذلك وتأثروا جدا ، فاجتمعوا سرا وتشااوروا ، وخبر بعضهم
كبراء الارمن وعقلاءهم وقالوا لهم ما حاصله :

لا محل لاصلاح ولايات ارمنيا وحدها دون باقي الولايات العثمانية ، قالوا يجب
طلب الاصلاح للمملكة العثمانية كلها . نعم ان الارمن يتألمون من الادارة
الحاضرة ولكن انظروا والاستبداد ليسا وجهين اليهم خاصة ، بل هما شاملان للارمن

(١) في سنة ١٨٨٧ تألفت جمعية هنجاق الارمنية ومعنى اسمها الجرس

والاثرات وعموم المسلمين والمسيحيين ، فانهم جميعهم يثنون تحت اثقال التكليف وارتكاب الموظفين ومعاملاتهم القسرية والاستبدادية ، ويتحملون انواع الظلم والاعتساف وهضم الحقوق . وحظ المسلمين من ذلك اكبر ، لقيامهم وحدهم بإعباء الخدمة العسكرية التي تقدمهم عن زرع الارض واكتساب الثروة والرفاه والنمو والازدياد في العدد ، وان اتفاق الارمن والأتراك على القيام بطلب الاصلاحات اللازمة وتأسيس حكومة مقيدة حرة يعد من الحمية والقبرة الوطنية ، ولكن قيام الارمن أو طائفة أخرى على انفراد بمساعدة الاجنبي وترغيبه لا تعده تركيا الفتاة إلا خيانة وجناية وضرا بمنافع الوطن المشتركة . على أن الارمن كانوا لدى مجتسهم بالجنسية العثمانية لا يزيدون عن بضعة عشر الفا وقد أصبحوا اليوم يعدون بالملايين . وان القاطنين منهم في العاصمة والمدن الكبيرة على جانب عظيم من الفنى والثروة والرفاه ، ويدهم الشؤون المالية والوظائف العالية والرتب السامية وهم على وفاق واتلاف تام مع الأتراك حتى اذا أطلقت كلمة « ملت (١) صادقة » لا تنصرف إلا الى الارمن . فبناء على هذا الامتزاج التام بين الترك والارمن وما فيه من الفوائد والمنافع للفريقين طلب بعض احرار الترك من معتبري الارمن وعقلائهم إيفهام الجمعيات السرية الارمنية التي في أوروبا هذه المقاصد ، واستعمال نفوذهم لتعديل المطالب الارمنية ونبد التهور في سياستهم

وفي سنة ١٨٩٤ اشتعلت نيران الحادثة الارمنية وحصلت مذابح سامون وخربت ثلاثون قرية من قراهم . كل هذا وجواد باشا المصدر الاعظم لاه عن اتخاذ الوسائل لحسم هذه المسائل ، والقيام بالاصلاحات في جميع ارجاء المملكة ، ولقد كانت سياسته محصورة بالتدابير المؤقتة لايقاف الاعتداء وسلوك سبيل الماطلة والإرجاء ، واوروبا -- ولا سيما انكلترا -- واقفة للدلة بالمرصاد ، تخلق لها المسائل والمشاكل واحدة بعد أخرى . فمن الحادثة الارمنية

(١) المنار : يراد بكلمة « ملت » عند الترك الامة ، والملية هي القومية فكل ما يرد في هذه الرسالة من هذه الكلمات ينصرف الى ما ذكر ، على اننا وضعنا عند معظم الكلمات التركية التعبير كلمة عربية بين قوسين تفسيرا لها

٧٦٠ جمعية الأتحاد والترقي . مبادئها . أحمد رضا بك (المخرج ١٠م ١١)

الى المشككة الكريدية الى المسألة القيدونية وهم جرا . . . ورجال الماين أكثرهم جهلاء
أغبياء ، لاخبرة لهم بالسياسة ، ولا معرفة لهم بالشؤون الحاضرة . وقليل منهم
شياطين ابالسة لا يتأبون الا على جمع الاموال وادخارها . ولو ادى ذلك الى
خراب الوطن وسقوط الملكة . فكانوا يخوفون السلطان من حزب تركي القامة ومن
القيام بالاصلاحات . ويشيرون بانخاذ التدابير السيئة حتى حدث ما حدث من
المذابح والفظائع التي نسبت الى الاسلام . والاسلام يبرأ الى الله منها :

والدين انصافك الاقوام كلهم وأي دين لا يبي الحق ان وجبا
والمرء يعيه قود النفس مصحبة للخير وهو يقرود السكر الهجا

تأسيس جمعية الأتحاد والترقي

كان من نتيجة هذا الخلل في الادارة والاستبداد والسف بالامة أن تأسست
في الاسنانة جمعية الأتحاد والترقي لاختاد تاريخ التمن المشتملة في البلاد، ومطلب الحرية
والعدل لجميع العثمانيين وتأييد روابط الحب والامان بين الامة — المؤلفة من
السنة وأديان مختلفة — وبين الدولة . وقد بشت الجمعية في تلك السنة (١٨٩٤)
فريقا من الشبان الاحرار — أكثرهم من طلاب المدرسة الطيبة — الى
باريس ليؤسسوا فرعا للجمعية فيها ويقوموا بنشر الجرائد والرسائل . وكان في
باريس اذ ذاك عدد ليس بالقليل من الشبان العثمانيين ، بعضهم يدرس على نفقة
الحكومة العثمانية او نفقة الخاصة ، وبعضهم يدرس ويشغل بالمسائل السياسية وأشهرهم
احمد رضا بك صاحب اللائحة المشهورة .

احمد رضا بك ومبادئه جمعية الأتحاد والترقي

ولد أحمد رضا بك في الاسنانة منذ خمسين سنة تقريبا ووالده انكاز علي
بك وأمه مجرية ، وسمي انكاز لعله الانكليزية ووقوفه على المدنية الاوربية كما
سريانه ، والافهم من الاحراك المسلمين وكان من معتبري المواطنين الذين نشأوا
في عهد مصطفى رشيد باشا وعالي باشا . فتخرج أحمد رضا بك في مدارس الاسنانة

وعين مديرا للندوة الاعدادية في مدينة بروميه فأحس من نفسه لزوم السفر الى أوروبا للاطلاع على علومها ومدنيتها فذهب الى باريس سنة ١٨٩٠ واختلف الى مدرسة الزراعة لشدة احتياج المملكة الى العلوم الزراعية ، وتعرف الى علي شقفي بك الذي كان يصدر جريدة « استقبال » في إيطاليا ثم في فرنسا ، وهو من رجال السلطان مراد . وكان رضا بك كثير التردد على المكتبة الاهلية في باريس ، فاطلع فيها على أهم الكتب والفنون ، واشتغل بالمسائل السياسية ، وحرر لأئمة مفصلة مشتملة على رسائل في إصلاح الإدارة والمالية والزراعة والتجارة وغير ذلك بعد ان درس لأئمة مصطفى فاضل باشا ووصيه فؤاد باشا وما حرره ملكوم خان وشارل ميزمر وغيرها من أكابر الرجال المشتغلين بالسياسة الشرقية والواقفين على أنساب الأنصاط وعلمه الفلسفية .

سلك احمد رضا بك في الفلسفة الحقيقية مسلك أوگوست كونت وخليفته بيير لافيت ، ومار إماما في هذه الطريقة المؤسسة على « النظام والترقي » وهذه الكلمة هي شعارهم وعليها بناء أعمالهم ، ومن مبادئهم التفتي في حب الوطن وخدمة الجماعة ، أي وقف حياة الفرد على خدمة المجتمع ، وهم ينفرون من الانتماء في الشهوات وتبذير الأغنياء لان المبذرين إخوان الشياطين ، ويشددون النكير على الذين يتزورن الاموال الاميرية ويأكلون أموال الناس بالباطل ويعتبون بالحقوق العمومية ، فالمرتكب للوث بالرشوة يمدونه ساقطا مما بلغ علمه وقدره . فأحمد رضا بك متصف بكل هذه الخلال الجليلة ، وقد ضحى نفسه وشبابه في سبيل المحافظة على مبادئه ، ورفض قبول الألف من الدنانير وهزى ، بالمنصب العالي التي كانت تعرض عليه ، مع شدة حاجته واضطراره ، وتحمل الأذى والمكارة ، وجاهد في سبيل استرداد الحرية حق الجهاد قائلا : لو وضعتم الشمس في يميني والقمر في شمالي لما تحولت عما قصدت اليه . فكان بالحقيقة من اولي العزم الصادق ونشر تعاليمه وأفكاره وله رسالة مطبوعة بالفرنساوية عنوانها « التساهل الديني » رد فيها على الذين يتهمون المسلمين بالتعصب ، واستدل بكثير من الآيات القرآنية

والاحاديث النبوية مما دل على غزارة علمه . واما اللائحة التي مر ذكرها فهي رسالة باللغة التركية مشتملة على تحقيق وعلم وسياسة في اصلاح إدارة الدولة ولما تنشر . وكانت جريدته « مشورت » تصدر بالتركية والفرنساوية في مكل أسبوع أو أسبوعين مرة ، ثم اقتصر على القسم الفرنسي وهي صغيرة الحجم مضي على إنشائها أربع عشرة سنة ، ويتألف منها مجلدان أو أكثر ، وربما كان له غير ذلك من المؤلفات . فانه كثير الدرس والتحقيق ، يقضي الساعات الطويلة في المكتبة الأهلية ، وفي مكتبته الخاصة مؤلفات كثيرة في التاريخ والسياسة العثمانية والمسألة الشرقية ولما وصل وفد جمعية الاتحاد والترقي الى باريس سنة ١٨٩٤ كان رضا بك ساكنا في شارع موج في بيت صغير (Appartement) في الطبقة السادسة فقصد اليه الوفد وذاكروه في انضمامه اليهم ، فردد في بادئ الامر وقال اذا عزمتم على شيء فانتني لأرجع عنه مطلقا . وكان أقدر الموجودين وأعرفهم بطرق الاصلاح ومواضع الخلل . لأن إصلاح مملكة عظيمة مشتملة على أم مختلفة في الجنس والدين واللسان ، ووارثة للخلافة الاسلامية والدولة البيزنطية — ليس بالامر السهل ، ولا يشبه اصلاح مدرسة أو إدارة تلاميذ وانما يحتاج الى علوم ومعارف شتى ونظر واختبار ونفاذ بصيرة ، وليس ذلك في مقدور من درس سنتين أو أكثر في مدرسة طيبة لا تدرس فيها العلوم السياسية والحقوقية ولا العلوم الشرقية التي هي موضوع بحث العلماء المستشرقين . فقبل أحمد رضا بك الانضمام الى الجمعية وصار رئيساً لفرع باريس ، ونشر جريدة « مشورت » بالتركية والفرنساوية ناطقة بمقاصد الجمعية

معاكسة المايين للأحرار في اوربا

أم باريس من ذلك الحين كثيرون من شبان العثمانيين وكهولهم حتى الشيوخ ذوي العاظم والفراء ، ونشروا الجرائد والرسائل والورقات ، وادبوا مادب وعقدوا اجتماعات سياسية . فانصرفت هم رجال المايين والسفارات العثمانية الى إبطال هذه النشرات واسترضاء اصحابها بالمال والرتب والنياشين والمناصب ، حتى قيل لبعضهم « اطلب تعط » كما ينقل عن الخلفاء في حكايات الف ليلة وليلة . وكان المطاء حاتما

بل اكثر ، كان سلطانيا شاهانيا !! وصار طلاب الوظائف أو الموزلون يقصدون باريس فيكون ذلك سببا لعودتهم الى وظائفهم . ودخل في حزب تركيا الفتاة الصياني الذين لم يباغوا الخامسة عشرة ، والتونسيون حتى الاجانب من الطليان واليونان ، وأصبحت سفارة باريس مرجعا للجميع كأنها أعظم دائرة من دوائر الباب العالي !! . وا قدم الجرائد التي ابطلت جريدة المرصد العربية التي تعين صاحبها عضوا في شورى الدولة ، فحسده عزت باشا العابد حتى صرف قوة عقله وذكاؤه في سبيل الوصول الى ما وصل اليه . وظهرت عدة جرائد ورسائل ومحررين بالتركية والعربية والكردية والفرنساوية والالبانية وغيرها ، منهم أصحاب صدق وقناعة ، ومنهم ذوو طمع وشموذة . ورجال الدولة يتقربون باسترضائهم واحضارهم كما كانوا في الازمان الماضية يتقربون بمجلب أهل الظنة من الشيخ وأصحاب الكرامات كالمرحومين الشيخ ابي السعود من القدس الذي استقدموه للسلطان محمود خان ، والشيخ السن من صيدا ، والشيخ العمري من طرابلس الشام ، وكذا المشايخ الذين كانوا في الماين وخاتمهم استاذنا الشيخ حسين الجسر ، مؤلف الرسالة الحميدية . فلما اطلمت على تراجم هؤلاء الشيخ ومقدار معارفهم وكيفية طلبهم والاسترشاد بهم اعرفت ارتفاع الفكر التدريجي الذي حدث من عهد السلطان محمود ، ولرايت للانقلاب الحاضر معنى في الرسالة الحميدية التي دلت على كثير من العلوم الطبيعية والعصرية

لم يقصد من نشرات تركيا الفتاة في أوروبا الا ابصال الشككية من سوء الادارة الى مسامع الحضرة السلطانية ، ووافهام الدول الاوربية الموقعة على معاهدة برلين بأن لحزبهم السيامي كيانا ووجودا وان غايتهم اعادة القانون الاساسي ، فكادت أوروبا تعتد بوجودهم كما ظهر من انتصار الجرائد الباريسية لصاحب جريدة « مشورت » يوم محاكمته في باريس والحكم عليه بفرنك واحد مع تطبيق قانون بيراتجه القاضي بالسماح عنه . وبيدنا كان الماين يقدم رجلا ويؤخر أخرى في اجابة حزب تركيا الفتاة الى مطالبهم الاصلاحية واعادة القانون الاساسي واذا بالتكلمة الكردية ولدت الحرب بين الدولة العلية واليونان (نيسان - - مارس ١٨٩٧) وتم النصر فيها للمساكر النمائية فأخذته العزة بردام على سياسته الاستهداية وقعدت همه الاكثريين

من حزب تركيا الفتاة فخصوا الاحكام الاستبداد جيرا وقهرا، وان كانوا غير راضين عنها ، وذاقوا عذابا شديدا بسبب غلاء أوروبا وكثرة الاطلاق فيها مع قلة ذات يدهم وفراغهم من نحو صناعة أو تجارة بأيديهم كما هي حال الارمن والبلغار ، الا ما كان من عليهم باللثة التركية أو العربية وسماونة الاطباء في المستشفيات بأجرة قليلة والسهر في الليل على المرضى . والاغنياء من أهل البلاد وكبار الموظفين لم يساعدهم بشيء ، الا بعض الامراء المصريين الذين نهجوا نهج مصطفى فاضل باشا مؤسس حزب تركيا الفتاة ، فانهم آمنوا بمصنعيهم بالاموال وكانوا عوناً لهم . اما الجميات الارمنية والمقدونية الانتقالية فان اصحابهم وأغنياء أمتهن أعانوهن بالمال وأيدوهن بكل ما في طوقهم ، وقد علت مما تقدم ان ميزانية الجمعية الارمنية بلغت مليون فرنك فأين هذا من جمعية الاتحاد والترقي ؟ ألا ان سبب خذلان الميانيين لجمياتهم هو موت الثورة الوطنية في نفوسهم وقد الحاسة القومية وكونهم لم يفتقروا معنى الاجتماع والتعاون .

غرور المايين واستعمال الاستبداد

اظهرت الحرب اليونانية السمانية فتوة الامة العثمانية وحيثما وسلاستها من عوارض المرض أو الهرم كما يصنفها أعداؤها ، وظهر فيها من شجاعة الضباط الميانيين ومعارفهم ومحافظتهم على قواعد النظام الحربي ومقدرتهم على ضبط أفراد المساكرو وكفهم عن النهب والعبث بالأداب وغير ذلك من الافعال الممجيبة ما يتخذ لهم هذه المآثر في بطون التواريخ ، وبرز الجيش العثماني من الشجاعة العظيمة والصبر والقناعة المعجب والمعجز ، وامتاز بالسلامة من الابتلاء بالمسكرات كما هي عليه عساكر الروس وغيرهم من عساكر أوروبا

وإذ غرور المايين واستبداده بعد خروج الدولة من ميدان الحرب فائزة منصوره ، وانتقل مركز ادارة الحكومة من الباب العالي الى سراي يلديز، وأصبح مجلس الوكلاء لا عمل له ، والنظار لا وظيفة لهم الا تنفيذ ما يقرر في السراي . على ان الائتلاف والاقبال والتقريب والنفوذ كان ينقل من الباشكاتب الى الكاتب

الثاني الى كاتب الشفرة (١) الى (الشيخ) الى (العابد) الى (الملاحه) الى غني آغا الى لطفى آغا الى فهم باشا الجبار الطائي - أولئك الذين ألقوا الرعب في قلوب المسلمين والمسيحيين وغيرهم مما دل على استبداد متقلب مذنب حيران ، حتى لم يعد لأحد ثقة بالحكومة ، وكاد الانقلاب يحدث في نفس السراي . وأكثر رجال السراي أمين ويندر في كتاب المايين من يعرف اللغة الفرنسية بلهجتها من لغات أوربا ، وهم في جهل مطبق بالسياسة . ولذلك كثرت الخطأ السياسي وسوء الإدارة واختلاس الاموال الاميرية وظلم الرعية بما لم يسبق له مثيل .

(لهاجية)

البلاد العربية والسكة الحجازية *)

بلاد العرب أوشبه جزيرة العرب مساحتها مليون ومئة ألف ميل مربع ، وعدد سكانها على أقل تقدير سبعة ملايين وعلى أكثره عشرة ملايين ، وهي من أخصب البلاد أرضا وأجودها تربة وأعظها خيرا اذا اعتني بها وتوفرت وسائل الأمن والراحة والعمران فيها . واليمن أجود بلاد العرب قاعا وأكثرها سكانا وأعظمها ثروة وخصبا ، ولهذا كانت تسمى قديما (العربية السعيدة) الا انها محاطة بصحارى رملية منخفضة شديدة الحر قليلة المياه ، يظن السامع بها ان اليمن كلها على هذا النمط : صحارى ورمال مع ان هذه الصحارى لا تمتد الى الداخل من السواحل الشرقية والغربية أكثر من خمسين إلى ستين ميلا يجتازها المسافر في ثلاثة أو أربعة أيام حيث يرى سلسلة جبال التواء وبلاد شحر وحضرموت وجبل صعدة وصنعا

(١) المأرج : الشفرة في اللغة التركية هي الخطاطبة بالأرقام بطريقة لا يعرفها الا

الخطاطبان وهي مأخوذة من كلمة (جفر) العربية

(٤) بقلم رفيع بك العظم المورخ المشهور